

١ تابع الحديث عن العشق المحرم

يقول الإمام ابن القيم أن المانع من حصول تعلق القلب « اشتغال القلب بما يصدّه عن ذلك، ويحول بينه وبين الوقوع فيه، وهو إما خوف مقلق أو حُب مُرْعَج، فَمَقَى خِلا القلب من خوف ما قَوَّاه أَطْرُ عَلَيْهِ مِنْ خُضُولِ هَذَا الْمُخْطُوبِ، أَوْ خَوْفِ مَا خُضِلَ أَطْرُ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاتِ هَذَا الْمُخْطُوبِ، أَوْ مَحَبَّةٍ مَا هُوَ أَتَمُّ لَهُ وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ هَذَا الْمُخْطُوبِ، وَقَوَّاه أَطْرُ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاتِ هَذَا الْمُخْطُوبِ، لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ عَشْقِ الشَّوَرِ. »

وشرح ذلك أن المرء إذا كان عنده خوف كبير أو حب له عزوجل فسوف يطرد ذلك العشق ولا شيء يستطيع أن ينتصر على الشهوة إلا شيء أكبر منها وهو حب الله عزوجل وحب الله سلاح قوى لأنه لا يواجه الحب إلا حب مثله.

٢ فصل في آثار المحبة وأحكامها

والمَحَبَّةُ لَهَا آثارٌ وَتَوَابِعٌ وَلَوَازِمٌ وَأَحْكَامٌ، سِوَاءَ كَانَتْ مَحْمُودَةً أَوْ مَذْمُومَةً، نَافِعَةً أَوْ ضَارَّةً، مِنَ الْوَجْدِ وَالذَّوْقِ وَالْخُلُوعِ، وَالشَّوْقِ وَالْأَنْبَسِ، وَالِاتِّصَالِ بِالْمُخْطُوبِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ، وَالِانْفِصَالِ عَنْهُ وَالْبُعْدِ عَنْهُ، وَالصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ، وَالْفَرَجِ وَالشُّرُورِ، وَالْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا.

وشرح ذلك أن المحبة لابد أن يكون لها توابع فتجد شخص من شدة حبه لله يبيى وآخر يبيى أمام فيلم فهل يستوى ذلك بذلك ؟ الأول مأجور والثاني يأثم وبما أنه وجدت محبة فلا بد أن يكون لهذه المحبة توابع مثل الحب ، البكاء ، الشوق والمحبة يجب أن تواجه بمحبة مثلها

يستطرد الإمام حديثه فيحدث عن المَحَبَّةِ الْمُحْمُودَةِ: هِيَ الْمَحَبَّةُ النَّافِعَةُ الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَنْفَعُهُ فِي دُنْيَاہِ وَأُخْرَتِهِ، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ هِيَ غُنَاوُنُ السَّعَادَةِ، وَالضَّارَّةُ: هِيَ الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَضُرُّهُ فِي دُنْيَاہِ وَأُخْرَتِهِ، وَهِيَ غُنَاوُنُ الشَّقَاوَةِ.

وشرح ذلك أن الإمام هنا يقوى عند السائل تمارين العزيمة والإرادة وهى محور الكتاب تقوية القوة العلمية والقوة العملية ويقول الإمام إنما يغلب الإنسان ويقع إما بسبب الجهل بمعنى أنه لم يكن يعلم أن هذا الفعل محرم وإما بسبب الظلم وهو علم الإنسان أن هذا الشيء حرام ولكن غلبه الهوى

٣ فصل المحبة أصل كل دين

يقول الإمام ابن القيم«وَكَمَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْإِزَادَةَ أَضَلُّ كُلِّ مَفْعَلٍ كَمَا تَقَدَّمَ، فَهِيَ أَضَلُّ كُلِّ دِينٍ سِوَاءَ أَكَانَ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا، فَإِنَّ الدِّينَ هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِلَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَالْمَحَبَّةُ وَالْإِرَادَةُ أَضَلُّ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَالدِّينَ هُوَ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ وَالْخُلُقُ، فَهُوَ الطَّاعَةُ الْأَرْمَعَةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي صَارَتْ خُلُقًا وَعَادَةً، وَلِهَذَا مُسَمَّرُ الْخُلُقِ بِالْأَدِينِ فِي {وَأَنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ}

وهنا نقول أن كل شيء أصله المحبة ولكن ما الفارق بين محبة الله عزوجل ومحبة الزوجة ؟! نقول حب الله عزوجل حب يحتوى على الذل والإنقياد أما حب الزوجة فغير ذلك فهى تحب لله لأنها مسلمة ومطيعه والمحبة تزيد بالأنخلق والمعاملة الطيبة فهذه محبة طبيعية .

أما محبة المشركين للأصنام فهى محبة تعبدية شركية لأنه يوجد فيها ذل وانقياد والعشق المحرم بطور المحبة الطبيعية لمحبة شركية إلى أن تصل للذل والإنقياد فيتحول الإنسان من معصية لشرك بالله

٤ فصل في مفاصد العشق المحرم

لا ينزع العشق المحرم إلا بالعشق الحلال وهنا الإمام يريد أن يبغضك فى الحرام لأن سببه الشيطان فيقول «وَتَحْتَمُ الْجَوَابُ بِفَضْلِ مُتَعَلِّقٍ بِعَشْقِ الظُّوَرِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَقَاسِدِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَإِنْ كَانَتْ أَضْعَافُ مَا ذَكَرَهُ ذَاكِرٌ، فَإِنَّهُ يُفْسِدُ الْقَلْبَ بِالذَّاتِ، وَإِذَا فُسِدَ الْقَلْبُ؛ فُسِدَتِ الْإِرَادَاتُ وَالْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ،

وَفُسِدَ تَعَرُّ التَّوْحِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَمَا سَنُقَرِّرُهُ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنْمَا حَكَى هَذَا الْمَرْصُ عَنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَهُمُ اللَّوْطِيَّةُ وَالنِّسَاءُ، فَأَخْبَرَ عَنْ عَشْقِ امْرَأَةٍ الْغَزِيرِ لِيُوسُفَ، وَمَا رَاوَدَتْهُ وَكَادَتْهُ بِهِ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا يُوسُفُ بِصُورِهِ وَعَقْبَتِهِ وَتَقْوَاهُ، مَعَ أَنَّ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَمْرٌ لَا يَضُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ صَبْرِهِ اللَّهُ، فَإِنَّ مَوَاقِعَةَ الْفِعْلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّاعِي وَزَوَالِ الْمَانِعِ

وهنا تحدى فى القدرة على مقاومة المعصية كما يمكن أن يكون منافسة أيضا للسلف لأننا لن نكون مثل السلف فى الصلاة والقيام ولم يكن لديهم الفتنة متاحة مثل الآن فتستطيع أن تغلبهم فى ذلك فلو نجحت فى ذلك فهذا هو التحدى الحقيقى فإذا اجتمع عندك زوال المانع وقوة الداعى للمعصية وتغلبت على الشهوة فإنك فعلا وحقيقة ولى من أولياء الله عزوجل مثل قصة يوسف عليه السلام

يتحدث الإمام عن قوة الداعى فى فتنة يوسف عليه السلام ورغم ذلك استعان بالله وتغلب على كل الفتنة فيقول «أَحَدَهَا: مَا رَكِبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي طَبْعِ الرَّجُلِ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا يَمِيلُ الْعَطْشَانُ إِلَى الْمَاءِ، وَالْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ،

حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْرُفُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا يَصْرُفُ عَنِ النَّسَاءِ، وَهَذَا لَا يُدْرَى إِذَا صَافَ حَلَالًا، بَلْ يُحْمَدُ كَمَا فِي كِتَابِ الرَّهْبِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةِ الصَّقَّارِ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، أَضْرُفُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا أَضْرُفُ عَنْهُمْ.....»

فاجتمع فى يوسف عليه السلام صدق اللجوء واستنشعار المنة والتفكر فى العواقب والأخذ بأسباب الفرار وسوابق الخير

٥ فصل فى اللوطية وعلاقتها بالعشق

من ابتلى بشيء من ذلك فلا حل له إلا بمدافعه ذلك والمقاومة وحل ذلك تقوية أيضا التوحيد فيقول الإمام ابن القيم «أن يعرف أن ما ابتلى به من هذا الداء المضاد للتوحيد، إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله تعالى، فعليه أن يعرف توحيد ربه وسنته أولا ،

ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه ، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه فى صرف ذلك عنه ، وأن يراجع بقلبه إليه ، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله ، وهو الدواء الذى ذكره الله فى كتابه حيث قال : كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين.

مفاصد هذا العشق :

١- الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالى وذكره ، فلا يجتمع فى القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر ، ويكون السلطان والغلبة له

٢- عذاب قلبه به ، فإن من أحب شيئا غير الله عذب به ولا بد

٣- أن قلبه أسير قبضة غيره يسومه الهوان ، ولكن لسكرته لا يشعر بمصابه.

٤- أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه ، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور ، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعنت القلب وإقباله على الله ، وعشق الصور أعظم شيء تشيعتها وتشيتها له .

٥- أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار فى يابس الخطب ، وسبب ذلك : أن القلب كلما قرب من العشق وقوى اتصاله به بعد من الله

٦- أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه ، أفسد الذهن ، وأحدث الوسواس ، وربما أحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها .

٧- أنه ربما أفسد الخواص أو بعضها ، إما إفسادا معنويا أو صوريا ، أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب ، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان

٨- يستولي المعشوق على قلب العاشق ، حتى لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه ، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه

